أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس الخامس: من آثارهم يُعرَفُون

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

{وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة:١٢٤].

هذا العهد الذي بين الله (عز وجل) وبين إبراهيم (عليه السلام)، أنه من أتم هذه الكلمات يكون إمامًا في الدين.

ليس لكل ذرية إبراهيم (عليه السلام)، وإنما الصالح المصلح منهم.

أما هذا العهد فهو لا يتناول الظالمين، لا يتناول هذا العهد الظالمين، العهد هنا هو الفاعل والظالمين مفعول به، فالظالم لا يكون إمامًا، الفاجر، الفاسق، الكافر، لا يكون إمامًا.

تقول: كيف وقد تسلطوا علينا؟

كيف وقد ملكوا كثيرًا من ملك الدنيا وخزائن الدنيا؟

نقول: هذا تسليط للكافر على المؤمن وليس تمكين لهم؛ الكافر لا يُمَكّن له، الكفرة الفجرة لا يُمَكّن لهم؛ إنما يسلطون على المؤمنين عقوبة للمؤمنين؛ حتى يستفيق المؤمنون من غيبوبتهم وغفوتهم ويعودوا إلى ربهم، ويتعبدوا لربهم (تبارك وتعالى).

لذلك نحن كيف نسير على طريق إبراهيم عليه السلام؟ ونكون ممن اتبع إبراهيم؟

أنت تقول في أذكار الصباح والمساء: "أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة التوحيد، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين".

إبراهيم أب لنا، كيف هي أبوته؟

هي أبوة الاعتقاد، أبوة التوحيد، أبوة التفريد، أبوة الحنيفية، أبوة السير على الفطرة السوية.
وما هي الحنيفية؟

الميل إلى الله والإعراض عن غيره، الميل إلى الله بالتوحيد، والحب، والشوق، والإخلاص، والإنابة، والإعراض عن غيره.

الكفر بالطاغوت وبكل ما يعبد من دون الله، ويعبد مع الله، وهو راضٍ، وهو يعلم، وكل ما يعبد من وثن، أو صنم وبغضه وإظهار عداوته والسعي في إزالة عبادته بالجهاد الذي يبدأ بالكلمة والبيان وينتهي بالسيف والسنان.

"فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا"، هذه حقيقة الحنيفية إبراهيم كان حنيفًا.

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}
[آل عمران:٦٧].

V{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}
[آل عمران:٦٨].

إذًا المعية هنا بالاتباع، الأولوية هنا بالتمسيك بالمنهج، بالملة.

وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين، على قدر الاتباع على قدر ما تكون على طريق إبراهيم، وعلى طريق إمامة إبراهيم (عليه السلام)، فيكون لك ما كان لإبراهيم (عليه السلام)، أن يجعل الله لك لسان الصدق في الآخرين، أن يجعلك للمتقين إمامًا.

وأول ذلك كما ذكرنا إتمام الكلمات، الكلمات الشرعية، والكلمات الكونية.

الكلمات الشرعية "الأوامر والنواهي" هي ابتلاء من الله عز وجل، كل أمر ونهي في القرآن ابتلاء؛ أي اختبار.

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات:٣].

فيكون غُض صوتك عند رسول الله امتحان، امتحان التقوى حتى في درجة صوتك.

العبودية: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

العبودية تتحكم في صوتك، وتعبير وجهك، وفي غضبك، وفي رضاك، في تقليم أظافرك، في حلق عانتك، في كل شيء في حياتك، في إتيانك شهوتك، في الطعام، في الشراب، في الأكل، في الشرب، في قضاء الحاجة.

فضلًا عن الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحسن الخلق، وصلة الرحم، وبر الوالدين، عبادات ومعاملات.

كل أمر من أوامر الشرع على الوجوب أو الاستحباب أو التحريم أو الكراهة أو الإباحة.

كل أمر أو نهي بالأحكام التكليفية الخمسة هي ابتلاء من الله، ابتلاء بالكلمات الشرعية، من الشرع.

هل ستنصاع؟ هل تستسلم؟ هل ستنقاد؟ هل ستقول: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؟

هذا ابتلاء بالكلمات الشرعية.

ثم هناك ابتلاء بالكلمات الكونية القدرية وهي المصائب التي لا حيلة لك في دفعها، بموت الأحبة، بمرض، بغير ذلك.

حينئذ مطالب منك الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ لذلك قلنا الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، هذا هو الأمر والنهي، هذه هي الكلمات الشرعية.

الصبر على أقدار الله المؤلمة مع الكلمات الكونية.

{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[البقرة:١٥٥-١٥٧].

إذًا هذا هو الطريق، طريق الصبر، طريق الرضا بالله (عز وجل)، طريق حسن الظن بالله، طريق إقامة عبودية الله، صبرًا على الطاعة، صبرًا عن المعصية، صبرًا على أقدار الله المؤلمة، هذا طريق إتمام الكلمات.

"إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ".

هذا طريق الإمامة في الدين، ولا يكون إمامًا للناس ظالمًا وفاجر وكافر، ولا يتولى ولاية المسلمين كافر، ولا يكون له لسان الصدق، ولا حسن الثناء في الدنيا أو الآخرة؛ بل كما قال الله عن فرعون:

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ}[القصص:٤١-٤٢].

هنالك أئمة كفر، وهنالك أئمة هدى، والطريقان مختلفان؛ طريق أئمة الهدى الصبر، والمصابرة، والجهاد في سبيل الله، والبذل، والتضحية، وأن تكون عبدًا وفيًا، والعطاء أحب إليك من المنع، وطريق أئمة الكفر الجزع، والتسخط، والإعراض عن الله، وعن وحيه، والظلم، والفجور، والعصيان، والفسق، طريقان مختلفان.

إذًا هناك يمين وهناك شمال، اختار أنت وهذا الاختيار يترتب عليه الآثار و العواقب.
ولذلك سُئل المسيح (عليه السلام) كيف نعرف الدجاجلة بعدك؟

"فهناك الكثير سوف يأتي ويدّعي النبوة بعد المسيح (عليه السلام)، كيف نعلم النبي الصادق من المتنبي الكاذب؟"

فقال: من آثارهم تعرفونهم.

إذا كانت الآثار والثمرات مُرة، كذب، وتضليل للشعوب، وقتل، وسفك للدماء، وخراب اعلم أن هذا ليس نبيًا، وإذا رأيت آثاره نورًا، وهدى، وأخلاق، وقيمًا، وحضارة، ونصرًا، وعزًا، عبر العصور وعبر الشعوب، وهداية للبشرية، ورحمة للبشرية فاعلم أنه نبي صادق وهكذا ورثة الأنبياء، وهكذا ورثة أئمة الكفر، وهكذا ورثة المفسدين.

طريقان من آثارهم تعرفونهم.

انظر لنفسك أن تكون صالحًا في نفسك، مصلحًا لغيرك، مؤثرًا في نفسك، مؤثرًا في غيرك، مؤثرًا في نفسك انصياعًا لله، مؤثرًا في إطار دائرة تأثيرك دعوة لله عز وجل.
لهذا تكون على طريق الخليل (عليه السلام).